الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ٢ يوليو ٢٠٠٢

(٣)

مستقبل السلام فى السودان

تعانى المنطقة العربية عدة أزمات مستعصية مزمنة تعوق مسيرة الديمقراطية والتقدم والتنمية وفى مقدمة هذه الأزمات.ولاشك.الصراع العربى.الإسرائيلى الذى أنهك المنطقة لنحو ٥٥ عاما وسيظل يخيم على مسارها لسنوات مقبلة، وكان الأمل معقودا على أن يكون إعلان الرئيس بوش الذى ترقبناه.وأعلن بالفعل منذ أسبوع.هو «الروشتة الشافية» المتوازنة التى توصل إلى السلام، ولكنها خيبت الآمال.على أن الأمر مختلف تماما لتوجهات أمريكا.أخيرا.تجاه قضية السودان، فقد عين بوش فى ٢٠٠١/٩/٦ مبعوثه الشخصى السيناتور جون دانفورث (وهو رجل سياسة قدير وليس رجل مخابرات ماكر) وقدم تقريره الوثائقى الصريح إلى بوش فى ٢٠٠٢/٤/٢٦ وتمت مناقشة التقرير فى لجنة العلاقات الدولية بمجلس النواب الأمريكى يوم ٥ يونيو ثم اجتمعت اللجنة السياسية لمنظمة الايجاد بنيروبى يوم ١٧ يونيو فى جلسات طويلة مضنية ستمتد لمدة ٦ أسابيع وتأخذ اللجنة أسبوعا إجازة للتشاور مع حكوماتها ثم تعود لمواصلة المفاوضات لستة أسابيع أخرى، لذا آثرت ان استمر فى المسلسل الذى بدأته فى مقالين سابقين بعنوان:

تأكد لنا الآن، أن أسلوب أمريكا فى معالجة القضية السودانية أكثر وضوحا وتحديدا من أسلوبها فى معالجة قضية فلسطين، وهو أمر تنبأت به منذ فترة طويلة ولأسباب فمنذ أن قدم دانفورث السيناتور الأمريكى المتمرس، تقريره عن مهمته التى كلفه بها الرئيس بوش تتحرك الأمور وفق مخطط مدروس تتنامى معه الرؤية السياسية للأطراف المهتمة بهذه القضية فقد اجتمعت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب الأمريكى يوم ٥ يونيو ٢٠٠٢ فى شكل جلسة استماع (علنية) تناقش فيها تقرير دانفورث ثم لتحدد «الخطوة التالية على طريق السلام فى السودان» وهى أمور ألمحت إلى بعضها فى مقالى ٣ و ٤ ، ١٨/يونيو ٢٠٠٢ ولكن الأهم، والجديد هو أن الكرة الآن فى ملعب الرئيس الكينى أراب موى فبتفويض من مجموعة دول «الايجاد» (دعى - ومن خلال اللجنة السياسية النابعة من «سكرتارية» مبادرة الإيجاد للسلام فى السودان - نقول قد دعى طرفا النزاع السودانيات وفى حضور ممثلى حكومات ورؤساء دول الايجاد ذاتها ورموز المجتمع الدولى وقد فوضوا بمتابعة قضية السلام فى السودان ويجرى حاليا التفاوض يوميا بمدينة «نيروبى» لمدة خمسة أسابيع تحددت بالفعل من ١٧ يونيو إلى ٢١ يوليو عام ٢٠٠٢ ثم ينفض هذا الجمع رفيع المستوى ليعود كل منهم إلى الحكومة أو الرئيس الذى فوضه لمدة أسبوع لتقويم ما أنجز ولحصر نقاط الخلاف التفصيلية والمناورة فى دورة مقبلة حيث يعود هذا الجمع المنتقى بعناية فائقة مرة أخرى إلى نيروبى لمواصلة المفاوضات والمباحثات (غير المعلنة) لمدة خمسة أسابيع أخرى والمفترض - بعد هذه المباحثات المضنية خلال هذه الأسابيع العشرة المملوءة بالمداولات والمناقشات وربما المناورات والكر والفر والغضب ثم التراخى نقول لابد أن تصل هذه اللجنة السياسية بهذا التشكيل الفريد إلى خطة مستقبلية تبدأ بالاتفاق على وقف اطلاق النار يتم مراقبته بهيئات دولية ثم فترة نقاهة انتقالية لبناء الثقة ليتحدد «مستقبل السلام فى السودان».

وتصادف أن وصلتنى نصوص الخطب الافتتاحية التى القاها كل من الجنرال سمبيوو SUMBEIYWO الممثل الشخصى للرئيس دانيال أرب موى، ثم خطاب السياسى البارع والصاعد د. غازى صلاح الدين طابانى مستشار الرئيس عمر البشير رئيس جمهورية السودان فى مباحثات السلام فالدكتور غازى أحد القيادات التى تحاور معها د. حسن الترابى بصفته الايديولوجية الفاعلة فى الحكومة ولذا فهو رئيس وفد الحكومة فى هذا التفاوض المهم حيث إن الوفد مكون من ١٧ خبيرا ويقابله فى التفاوض على الجانب الآخر الكوماندز سالفا ميارديت SALUA MAYARDIT رئيس وفد المفاوضين عن كل من حركة وجيش تحرير السودان الذى يرأسه جون جارانج وأحسب أنه الشخصية العسكرية التالية لجارانج ويرأس أيضا وفدا كبيرا من ١٧ خبيرا للتفاوض من الخبراء المقابلين لهم ممثلى حكومة الخرطوم.

أما المنسق العام للاجتماع فهو د. عطاالله حامد بشير المدير التنفيذى للسكرتارية المفوض من مجموعة دول الايجاد لمتابعة وادارة قضية السلام فى السودان ود. عطا الله من مواطنى دولة جيبوتى (وهى إحدى دول الايجاد الخمس فى شرق إفريقيا.

ومن المعروف ان المبادرة المصرية - الليبية المشتركة لديها سكرتارية دائمة للمتابعة لذلك احتضرت فى هدوء.

وواضح - مما هو متاح لدينا من أوراق ان ممثلى الدول والحكومات كانوا على مستويين رئيسيين : الأول هو مستوى الممثل الشخصى لرئيس الدولة وهو عادة شخصية عامة ويطلق عليها عبارة مبعوث فوق العادة A SPECIAL ENVOY أما الآخر فهو دبلوماسى بدرجة سفير أو أقل وهو ممثل وزارة الخارجية فى نيروبى ويطلق عليه عبارة الدبلوماسى الممثلى أى REPRESENTATIVE فقد كان هناك -

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ولايزال - مبعوثو دول تمثل المجتمع الدولي لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج، كما جاء ذكر وجود دبلوماسي ممثل لمصر ولكن بجواره مفوضين أو مبعوثين فوق العادة عن روساء دول «الايجاد» الخمس وهى كينيا وأوغندا وأثيوبيا، واريتريا وجيبوتى.

اذكر هذه المعلومات المتاحة لدى بالتفصيل لأننى شعرت أن هذه الدورة من المفاوضات (والتى قد تمتد لنحو شهرين ونصف فى مدينة نيروبى فى قلب أفريقيا على خط الاستواء وبحضور هذا العدد الهائل من الفاعلين الممثلين للمجتمع الدولى ولافريقيا، فهو اذن اجتماع فيصلى جاد ينتظر ان يوصل لسيناريو واضح ومحدد ينتهى إلى السلام فى السودان).

قراءة أكثر إشراقا

د . ميلاد حنا

أعود لكى أستأنف ما بدأت (فى المقالين السابقين) باستكمال ذكر ماتبقى من فقرات ذات دلالة لتقرير دانفورث، الذى رغب أن يقدم ضمن تقريره نتائج ملموسة لإنجاز أتمه هو وفريق العمل معه بغرض حالة «إيقاف الحرب» فى منطقة «مختارة بعناية» وهى مايطلق عليها عبارة «منطقة جبال النوبة» وهى من أفقر مناطق السودان، ولها خصوصية موقعها فى القلب فهى تمثل جنوب إقليم كوردفان وهى منطقة جبلية لاعلاقة لها ببلاد النوبة الواقعة فى أقصى شمال السودان والمعروفة جيدا للمصريين وهذه المنطقة من الناحية «الرسمية» تقع ضمن المديريات أو الأقاليم الستة المكونة لشمال السودان ولكن لها حدود مشتركة مع الأقاليم الثلاثة المكونة لجنوب السودان، ولذا فأهلها كلهم «أفارقة» وبهم أغلبية «مسلمة» وكان رئيس هذه المنطقة يوسف كوه صديقا شخصيا لجون جارانج، وقد نعته حركة تحرير السودان عندما توفى منذ أشهر قليلة فى اجتماع حافل أقامه السودانيون الجنوبيون فى القاهرة وكان لى شرف المشاركة فى هذه الاحتفالية الجنائزية لرحيل مناضل سودانى عظيم غير معروف فى مصر.

يكتب ويسجل دانفورث فى تقريره باعتزاز هذه الفقرات تعتبر اتفاقية جبال النوبة، المتعلقة بمنطقة من أكثر المناطق تعرضا للخلاف الشديد فى البلاد، اتفاقا غير عادى.

ان وقف اطلاق النار فى جبال النوبة مازال قائما، وبدأ وصول المراقبين الدوليين كما بدأ القيام بجهود طويلة الآجل للإغاثة وإعادة التعمير، وقد أوجد هذا الاتفاق الناجح فى منطقة جبال النوبة مناخا عاما قويا، للرغبة فى السلام بين الحكومة وجيش تحرير السودان كذلك ولدت اتفاقات مقاومة الرق وايقاف الهجوم على المدنيين مناخا عاما مشجعا واذا استمر واستدام التطبيق لهذه الاتفاقات، سيتاكد لدى الأطراف المختلفة الاقتناع بأن السلام ممكن فى كل السودان.

● أدى اكتشاف كميات كبيرة من احتياطى البترول خاصة فى الجنوب، وبدء الانتاج عام ١٩٩٩ إلى اعادة صياغة النيات والطموحات فى الحرب الأهلية فى السودان، فقد ثبت وجود احتياطى أكثر من بليون برميل فى السودان، وهناك احتمالات لوجود من بليون إلى ٤ «بلايين» برميل آخر ومن غير المتوقع الوصول إلى تسوية سلمية دائمة ما لم تتم معالجة قضية البترول بشكل فعال.

● اعتبرت حكومة السودان أن المصالحة بين جارانج وماشار (ماشار كان وزيرا مع حكومة السودان ثم استقال) ماهى إلا تحالف بين قبائل الدنكا والنوير، جارانج رمز الدنكا وماشار رمز النوير وهما أكبر قبائل الجنوب للسيطرة على مناطق البترول وهو مايبرر للحكومة بردود أفعالها العسكرية.

● من المرجح أن شركات البترول الدولية والمستثمرين الأجانب قادرون على توفير استثمارات مطلوبة لتحقيق تدفق البترول سوف تتدفق الاستثمارات على السودان اذا كان هناك سلام واستقرار سياسى وينبغى أن يكون هذا حافزا قويا لكل من الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان للوصول إلى اتفاق، إلا أن ترتيبات كهذه سوف تتطلب مناقشات مكثفة وآليات موثوقا بها فى ظل مراقبة دولية كضمان سلامة أية صيغة للمشاركة، فى عائدات البترول، التى سيتم الاتفاق عليها.

من المؤكد أن كل هذه المواضيع، وغيرها موضع مناقشة فى نيروبى.

فى السودان لاتوجد قضية واحدة أكثر مدعاة للتقسيم والتفرقة أكثر من العلاقة بين الدين والدولة ويتعين أن تعالج أى مفاوضات سلام قادمة للعلاقة بين الدين والدولة بصراحة وعمق وربما بواسطة زعماء دينيين من مسلمين ومسيحيين من خارج السودان، لأن التقسيم السياسى ليس حلا عمليا للمشكلة الخاصة بالعقيدة، (لنا رأى ورؤية فى هذا الأمر الحساس قد نتعرض لهما فى مقال قادم).

● سوف يكون الأساس هو إيجاد ضمانات الحرية الدينية داخليا أو خارجيا فالضمانات الداخلية تنطوى على وسيلة قضائية لفرض الحقوق الدينية، وتشمل الضمانات الخارجية مراقبة دولية للحرية الدينية بوجود نظام «الجزرة والعصا» لفرض الحقوق الدينية.

● هناك فكرة قد تستحق الدراسة وهى تشكيل مجلس الأمن الدولى للجنة خاصة لمراقبة تنفيذ أى اتفاقية سلام وتقديم تقارير إلى المجلس على فترات منتظمة.

يبدو أن أمريكا مازالت مدركة أن لمجلس الأمن والأمم المتحدة دورا فى حقبة «باكسا أمريكانا» ويختتم دانفورث هذا التقرير المصاغ بدقة وفهم وابداع قائلا: لقد قررنا بشكل صحيح أنه يتعين على الولايات المتحدة عدم وضع اتفاقية سلام خاصة بها وينبغى أن نواصل تشجيع ومساعدة الدول الأخرى فى المنطقة التى قدمت خطط سلام على التعاون معا، لاسيما مصر وكينيا.

● ويتعين على الولايات المتحدة مواصلة إعطاء أولوية كبيرة للسودان، خاصة من خلال تقديم المساعدات الإنسانية والتنموية فى جنوب السودان، وذلك بالتعاون مع المانحين الآخرين للمساعدات فى الشمال وإذا ما تحسنت احتمالات السلام، فإنه يتعين علينا بحث إنهاء القيود على شكل المساعدات التى يمكننا تقديمها إلى الشمال (انتهى موجز تقرير دانفورث).

■■■

ولقد أدرك المجلس المصرى للشئون الخارجية (وهو منظمة أهلية نشيطة وفاعلة، تكونت منذ ثلاث سنوات، وتضم نحو مائتى شخصية عامة مؤثرة ومهتمة بالعلاقات الخارجية لمصر ويرأسها السفير الرصين محمد شاكر أقول أدركت أهمية تقرير دانفورث وقررت تشكيل لجنة لدراسة هذا التقرير (ولى شرف أن أكون مقرر هذه اللجنة) وبالفعل تدارست هذه اللجنة المصغرة من متخصصين هذا التقرير الأمريكى المهم، والذى يعتبر - بأى مقياس - وثيقة مهمة توضح رؤى وخطط أمريكا فى صناعة السلام فى السودان وهناك إجماع بأن السلام فى السودان أمر استراتيجى لن يؤثر على أمريكا وأوروبا وافريقيا فحسب ولهم كل الشكر لاهتمامهم ومتابعتهم ولكنه مؤثر ومهم جدا لمستقبل واستقرار العالم العربى عموما، ولمصر خصوصا ولاداعى لأن أشرح أكثر من ذلك ويستوقفنى تساؤلات أصدقائى من قيادات السودانيين المهتمين بدعم العلاقات التاريخية «والأزلية» مع مصر لأنهم قلقون من أن «المطبخ» المجتمع حاليا فى نيروبى لفك التعقيدات والتشبيكات المتراكمة داخل السودان، يتم فى قلب افريقيا، وبحضور شخصيات على مستوى رفيع من أربعة أركان الأرض بينما التمثيل العربى يكاد يكون معدوما.. فماذا نحن فاعلون؟!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية